المصـــــدر : الرياض
التـــاريخ : 09-09-2007
الصفحـات : 32
العـــدد : 14321
المسلسل : 219

كلمة حق

غازي العريضي

الملك عبدالله بن عبدالعزيز الفارس العربي الشهم المقدام الواضح والصريح والصادق والشجاع والوفي والصبور الصبور على كل ظلم وإساءة تأتي من شقيق أو صديق لكنه الحاسم في موقفه والجازم في موقعه والقاطع في التزاماته والساطع في شفافيته.

المصـــــدر : الرياض
التـــاريخ : 09-09-2007 العـــدد : 14321
الصفحـات : 32 المسلسل : 219

* تستمر الحملة على المملكة العربية السعودية وقيادتها الممثلة بخادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، وعلى عدد من المسؤولين إلى جانبه، وتتركز في الآونة الأخيرة على ممثله في بيروت معالي السفير الدكتور عبدالعزيز خوجة الذي سبقت ضده اتهامات لا أساس لها من الصحة ولا يمكن لعاقل أن يصدقها. وجاءت عبر وكالة مهر الإيرانية للأنباء.. وواكب الحملة بعض الذين اعتادوا إطلاق مواقف غير مبنية على حقائق أو وقائع واستخدموا وسائل وأساليب غريبة عن حياتنا السياسية اللبنانية.

لقد أتاحت لي الظروف التي نعيشها في لبنان شرف اللقاء بخادم الحرمين الشريفين أكثر من مرة وخصوصاً بعد اغتيال الرئيس الشهيد رفيق الحريري، ومن الطبيعي بحكم الظروف ذاتها أن يكون هناك تعاون وتنسيق مع سفير المملكة في بيروت معالي الدكتور خوجة.. كنت دائماً أتساءل وبعد كل لقاء مع الملك عبدالله، ثم في المتابعات مع المسؤولين السعوديين، لماذا هذه الحملة؟؟ ما هي المصلحة في ذلك؟؟ أصحيح أن أصحابها حريصون على العروبة والأمة والتضامن العربي والعلاقات الأخوية بين الدول العربية، وعلى حماية العراق ووحدته واستقراره وأمنه وسلامته، وعلى فلسطين وشعبها وقضيتها وأرضها ومقدساتها، وعلى وحدة الفلسطينيين؟ وعلى لبنان واستقراره ووقف مسلسل الإرهاب فيه ومنع التدخل الخارجي في شؤونه وضمان أمنه واستقراره وسلامة اقتصاده..؟

وكان جوابي دائماً والله لو كان الأمر كذلك لما قال الظالمون الكلام الذي يقولونه، ولما تجنوا على المملكة وقائدها، ولما حملوا على سفيره في بيروت. وكانت نقاشات طويلة بيني وبين عدد كبير من اللبنانيين سياسيين وإعلاميين، ومع غير اللبنانيين، وكنت أقول دائماً نحن أمام فرصة لا يجوز تفويتها، بل يجب الاستفادة منها، والبناء عليها لنؤكد ثوابتنا ونحمي دولنا ونرسي قواعد التضامن بيننا، وهذه الفرصة هي وجود الملك عبدالله بن عبدالعزيز الفارس العربي الشهم المقدام الواضح والصريح والصادق والشجاع والوفي والصبور الصبور على كل ظلم وإساءة تأتي من شقيق أو صديق لكنه الجاسم في موقفه والجازم في موقعه والقاطع في التزاماته والساطع في شفافيته.

كنت أقول ذلك استناداً لما كنت أسمعه من الرجل.. لم يميز بين لبناني وآخر، وطائفة وأخرى ومنطقة وأخرى وحزب وآخر.. كان يؤكد دائماً على ضرورة الحفاظ على وحدة لبنان وحمايته، وعى التعاضد والتكاتف، مشيداً بهذا البلد الذي أحب. كان يدعونا إلى الصبر والوعي والحكمة وإلى تجنب كل انفعال واستفزاز وتهور وارتجال.. وكان يوصينا دائماً بأفضل العلاقات مع سورية رغم كل الجراح ويعلن حرصه على أمنها واستقرارها «لأن استهداف أي دولة من الدول العربية سينعكس سلباً على الجميع». وليس سراً القول انه كان عاتباً في أكثر من مرحلة على من يعتبرون الأقرب إلى المملكة لأنهم ذهبوا في مواقفهم إلى حدود بعيدة كان يراها تتجاوز الحدود التي كان يدعو إلى الالتزام بها.. ولم يكن يفعل ذلك من باب الانتصار لطرف على آخر لا في الداخل اللبناني ولا في العلاقات بين لبنان وسورية. بل كان يدرك المخاطر المحدقة بالمنطقة ويتطلع إلى معالجات هادئة واقعية وصادقة، ويعرف تماماً الاستهداف ومحاولات قوى كثيرة للإيقاع بين الأشقاء والاستفادة من ذلك.. وكان في الوقت ذاته قلقاً على العراق وشعبه وغير مرتاح لكثير من السياسات والممارسات الأميركية، وكم رفع صوته وأعلن مواقف واضحة ومحددة في هذا المجال وكذلك فعل معالي وزير الخارجية الأمير سعود الفيصل..

أما فلسطين فقد كانت في عقله وقلبه ودائرة اهتماماته اليومية. لم يتخل عنها يوماً، بل عندما وقفت دول كثيرة مع أميركا ترفض خيار الشعب الفلسطيني عندما اختار حركة حماس واستلمت الحكومة، استمرت المملكة في تقديم الدعم للشعب الفلسطيني عبر مؤسساته الشرعية لأن انحيازها الدائم كان للشرعية وليس لأطراف محددة.. وفي هذا المعنى وعلى هذا الأساس كان اتفاق مكة، وكانت مطالبة المملكة للمجتمع الدولي بتحمل مسؤولياته تجاه الشعب الفلسطيني، وكانت مواقفها الرافضة للسياسات والأساليب الاسرائيلية والممارسات الارهابية ضد هذا الشعب ولكل من يدعمها من الادارة الاميركية الى أي طرف آخر.

اما في العلاقة مع ايران، ففي الوقت الذي تخوض فيه هذه الدولة معركة مع كل المجتمع الدولي وتصدر بحقها قرارات دولية مختلفة تدين سياساتها وطموحاتها في اتجاه امتلاك اسلحة نووية. وفي تدخلها في شؤون دول كثيرة وفي تمددها نحو ساحات صراع كثيرة وفي لعبتها في العراق، وخطابها السياسي المكابر، كانت المملكة ولا تزال تفتح قنوات الاتصال والحوار مع ايران، وتؤكد رغبتها الدائمة في الوصول الى حلول سلمية للأزمات مهما كان حجمها ولا تحبذ الاعمال العسكرية وذلك من موقع نقدها ايضاً لإيران ودورها في كثير من المواقع في المنطقة.

من هذا المنطلق قلت نحن أمام فرصة. فإذا كنا قلقين من انحرافات في السياسة الاميركية ومن أخطائها وخطاياها، ومدركين الخطر الاسرائيلي ورافضين السياسة الاسرائيلية ومواقف داعميها، ومؤيدين للشعب الفلسطيني، وللعراقيين واللبنانيين في بسط سيادتهم على أرضهم، ومغلّبين وجهة الحوار بين الجميع لحل المشاكل فمن الطبيعي أن نكون الى جانب المملكة ومعها ونستفيد من رجاحة عقل ورحابة صدر هذا القائد الكبير الذي يوجه سياساتها.

أما أن يقول ذلك بعضنا قولاً، وأن يمارس كل ما هو عكسه فيعمل على إسقاط اتفاق مكة، ويتدخل في الشؤون الداخلية في العراق ولبنان وفلسطين ودول أخرى، ويتفرد، ويزايد، ويورط المنطقة في مشاكل كثيرة ويسعى الى التفاوض تارة مع اسرائيل وطوراً مع أميركا ومرة مع الاثنتين، ثم يأتي ليهاجم المملكة ومواقفها فإن حول ذلك أسئلة كثيرة توجه الى هؤلاء وليس الى قيادة المملكة.. وهذا أقل ما يقال.

وسفير المملكة في بيروت، عندما يعلن مواقف لا ترضي الموالاة احياناً وهي المتهمة بانصياعها لتوجهات المملكة المتهمة بدورها من قبل أصحاب حملات التجني والتجريح بأنها تدير الموالاة ايضاً، وعندما تصدر مواقف من رموز المعارضة كلها تقريباً تبني على مواقف السفير وتشيد به وتتحدث عن دوره الإيجابي، وعندما يعلن مواقف أخرى يقول فيها حقيقة ما يجري في البلد، ويؤكد بالممارسة بلقاءاته مع ممثلي كل الأطراف في السفارة أو في دارته أو زياراته الشخصية لهم، وعندما يؤكد الانفتاح على الجميع، والسعي الى تقريب وجهات النظر ويحاول تلمس أي بصيص ضوء وأمل من خلال فكرة أو مبادرة تطرح، أو تحرك يجري، فيدخل اليه محاولاً التقاط فرصة، فهل يكون متآمراً وهل يكون منحازاً؟؟.

لقد تصرف معالي السفير عبدالعزيز خوجة في بيروت ممثل خادم الحرمين الشريفين بالروحية والذهنية والطريقة ذاتها والعطاء ذاته الذي تحدثنا عنه في شخصية الملك عبدالله وكان ملتزماً بتوجيهاته، قد يعجب هذا الموقف فريقاً ما اليوم، وقد يعجب موقف آخر فريقاً آخر غداً. فهذا لا يعني أن المملكة مع فريق دون غيره. لأنها مع لبنان وشرعيته ولا تريد تدخلاً في شؤونه الداخلية، ولذلك يمكن معالجة الأمور بطريقة مختلفة عن الاتهام والتخوين والتحريض. ولا يحق لمن يفوت على نفسه كل الفرص التي تعطى له، ويرتكب الأخطاء والحماقات المتتالية أحياناً أن يحمّل المسؤولية لرجاحة عقل الآخرين وصدق تعاملهم وصفاء سريرتهم. وهو بذلك لا ينال من هؤلاء بل يسيء الى نفسه والى كل الشعارات التي يرفع.

لقد فكرت كثيراً قبل كتابة هذا المقال. لكنني قلت في النهاية: كلمة حق لابد من قولها، بحق المملكة وقائدها وبحق سفيرها في بيروت معالي الدكتور عبدالعزيز خوجة، وأمام الحق لا يجوز التردد.